«دراسة عن المناظرة و منهجها فی سیرة النّبی الأعظم (صلی الله علیه وآله) علی ضوء آیات القرآن الکریم»

أ.م.د فاطمة حسيني ميرصفي

جامعة آزاد الإسلامية، قسم علوم القرآن و الحديث و قسم الفقه و القانون، كلية العلوم الإنسانية، مكتب يادگار الإمام الخميني (ره) مدينة الري، طهران، إيران

الكلمات الدلالية: المناظرة، الجدال بالأحسن، النّبی الأعظم (صلی الله علیه وآله)، آیات القرآن الکریم

الملخص

الجدال بالأحسن و المناظرة من الطرائق الرئيسية لدعوة الأنبياء في كل الأزمان. القرآن الكريم في العديد من سوره وآياته يتطرائق إلى قصص مناظرات الأنبياء مع أقوامهم، وكان التبليغ يتم بأساليب وطرائق مختلفة، وبناء على نص الآية ١٢٥ من سورة النحل فإن «الجدال بالتي هي أحسن» و «المناظرات البرهانية البعيدة عن المغالطة» من أهم أنماط هذا التبليغ الأسلوبية.

البحث عن المناظرة من المسائل المهمة للحوار مع الأخرىن فى حياتنا الحاضرة. فلذا نظراً للحاجة الماسّة والضرورة الملحّة لنشر العقائد الحقّة ، سأتنأول فى دراستى هذه «منهج المناظرات فى سىرة النّبى الأعظم (صلى الله عليه وآله) في ضوء آيات القرآن الكريم»، إن شاء الله.

المقدمة

الحمد لله ربّ العالمين، و أفضل الصلاة و أتم التسليم، على المبعوثِ رحمةً للعالمين سيدنا محمّدٍ وعلى آله وصحبه إلى يوم الدّين، و بعدُ.

إن ترويج الأفكار و تبليغ العقائد و أساليبه المختلفة هي طرائق متعارفة وعقلائية تستخدمها كل المذاهب والمدارس المادية أو المعنوية، وإنّ المهمة الكبيرة لأنبياء الله هي إبلاغ رسالة الله التي تهب السعادة للبشرية فقد تحملوا في هذا السبيل المصاعب و المتاعب لكي يوقظوا ــ بأبلغ صوت ــ الفطرة البشرية التواقة لمعرفة الله جلت عظمته.

ومن الطرائق الرئيسية لدعوة الأنبياء في كل الأزمان هو الجدال بالأحسن و المناظرة. في هذه الجدالات روعيت جوانب مهمة كالعاطفة واحترام الانسان، والتوعية، والاستدلال المنطقي، والحزم، و التوكل الايماني و غيرها.

و أحد الأساليب التبليغية للأنبياء (صلى الله عليه وآله) هو أنهم كانوا يكلمون أقوامهم عبر طرح الامور المختلفة والأدلة البينة، فحاولوا تليين قلوب قومهم و اقناعهم بقبول شريعتهم وإثبات أحقيتها.

و القرآن الكريم في سوره و آياته يتطرائق إلى قصص مناظرات الأنبياء مع أقوامهم، و هذه المناظرات جرت ضمن مراعاة الأدب والإحترام والقول الحق و الإستدلال الرصين والحازم بين الأنبياء وأقوامهم وهذا هو الجدال بالأحسن والذي يدعو اليه القرآن والشرع المقدس.

لقد استخدم النّبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) و كذلك الأئمة المعصومون (عليهم السّلام) ــ و هم الذين واصلوا إبلاغ رسالة الهدى العظيمة طيلة حياتهم المليئة بالمفاخر، أساليب متنوعة و طرائق متعددة من أجل الدعوة إلى الله، وإقناع الناس بالتمتع بصفات حميدة و سلوكيات جيدة، و كل منها له تأثير كبير على شخصية الناس وتصرفاتهم.

وكان تبليغ النّبى (صلى الله عليه وآله) يتم بأساليب و طرائق مختلفة و بناء على نص الآية ١٢٥ من سورة النحل، كما قال الله تعالى: «ادْعُ إِلى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَن...»، فإن «الجدال بالتي هي أحسن» و «المناظرات البرهانية البعيدة عن المغالطة» أحد أنماطه.

كما أن تنأول و شرح السيرة التبليغية و الاساليب المتنوعة للنبى الأكرم (صلى الله عليه وآله) في تحقيق هدفه، يعني حماية و صيانة حدود الدين و المدرسة الفكرية وحفظها، وهو أمر ذو أهمية فائقة تطبيقاً لقول أمير المؤمنين الامام علي بن أبي طالب (عليه السّلام) بشأن القرآن الكريم:

«ذَلِكَ القرآن فَاسْتَنْطِقُوهُ وَ لَنْ يَنْطِقَ وَ لَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِي وَ الْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِي وَ دَوَاءَ دَائِكُمْ وَ نَظْمَ مَا بَيْنَكُم».[1]

ولذلك قررت دراسة موضوع المناظرة وأساليبها في سيرة النّبى (صلى الله عليه وآله)، في ضوء آيات القرآن الكريم، وفي مقدمات الدراسة شاهدت أن المناظرات والمواجهات بين النبّى الأعظم (صلى الله عليه وآله) وبين الآخرين في مختلف المجالات، مثبتة و وفيرة و منشورة و يوجد منها تراث خالد و ثرٌ لينتفع منها طلاب الحق و سالكو سبيل الحقيقة.

و من ناحية أخرى، بالنظر لكون المناظرة ــ كغيرها من الاساليب التبليغية، ذات أصول و أسس و ترتيبات معينة وينبغي مراعاة نسقها و موازينها والتزام معاييرها المتعارفة لكي يتحقق بها و لها النجاح، ولهذا فانه عن

طريق الدراسة والتحليل لمناظرات النّبى الأعظم في القرآن الكريم، فقد تم إستخراج و تحديد أساليب و أصول المناظرة، إذ إن معرفة و تعلم سيرة النّبى (صلى الله عليه وآله) و كيفية تصرفه مع مختلف الفئات و الشرائح التي تحمل أنماطاً من الأفكار والعقائد، يعتبر ذا أهمية فائقة، للتمكن من تطبيق أساليبه والإقتداء بسيرته في العصر الحاضر، ويمكن ببيان ذلك في المباحث الآتية.

المبحث الأول: المناظرة فى اللغة و الإصطلاح: و يتكون من المطالب الآتية:

المطلب الأول: المعنى اللغوي:

المناظرة: كلمة عربية مشتقة من الجذر «نظر ــ نظراً ــ منظرةً»[٢]و أصل معنى «النظر» هو الرؤية بالعين. و يشير صاحب «مقاييس اللغة» إلى هذا المعنى يضيف: ان هذه الكلمة قد أخذت تتوسع في معناها نحو «التدبر والتفكر في امر معين» أيضا.

المطلب الثاني: المعنى الإصطلاحى:

إن المناظرة هي مكالمة و محادثة ذات طرفين (**Dialogue**) يطرح كل منهما أدلته و براهينه، من أجل أن يثبت تفوقه و أفضليته على الطرف الآخر.

والمناظرة كالــ (مفاخرة) فى الاساس، تعتبر عملاً من انواع الحماسة و المناظرة الفكرية، لأنه تحصل مطارحات بين طرفين يسعى كل منهما للتفوق و إثبات أفضليته على الآخر، و يحصل نزاع معنوي و اختلاف لفظي، ويطرح كلاهما أدلته و براهينه، و في النهاية يكون أحدهما مغلوباً أو مقتنعاً بكلام الطرف الآخر.[٣]

يقول الراغب الاصفهاني حول المناظرة: «المناظرة: المباحثة و المباراة في النظر و استحضار كل ما يراه ببصيرته، و النظر البحث و هو أعم من القياس، لأن كل قياس نظر، و ليس كل نظر قياساً».[٤]

اما صاحب "أقرب الموارد" فيقول: «المناظرة: علم تعرف به آداب و طرائق اثبات المطلوب و نفيه، أو نفي دليله مع الخصم، أو علم تندرج فيه قوانين التباحث و النقاش».[٥]

و بالنظر لكون الجدل نمطاً من انماط المناظرة و المواجهة الفكرية فان بعض المؤلفين كالمرحوم المظفر في كتابه (المنطق) ضمن بحثه في موضوع الجدل، يستخدم مفردة (المناظرة) بدلاً من كلمة (الجدل).[٦]

و على هذا الأساس فإن اسم (المناظرة) و معناها، يوحي للمرء فى الذهن بعقد جلسات بحضور ما لا يقل عن شخصين، بحضور فرد أو عدة افراد بصفة (حكم) لكي يتناظر الشخصان المذكوران حول موضوع، و يتباحثان بشأنه. و المناظرة بهذا المعنى هي ذاتها التي يتطرائق اليها علي باشا صالح، في كتاب «آداب المناظرة» فيسميها «مناظرة رسمية».[٧]

و المناظرة بهذا المعنى الذي نسميه و نعبر عنه (مناظرة حقيقية) كانت موجودة منذ العصور القديمه بين أهل الملل و النحل أيضا، و كما مر ذكره آنفاً فقد تم تأليف كتب حول المنطق من أجل تحاشي الوقوع في الخطأ في المباحث، و توجد في تاريخ العلوم مناظرات كثيرة في كل علم و خاصة في العلوم الكلامية و الدينية و سجلت في بطون الكتب و المصادر القديمة.

المبحث الثاني: الجدل فى اللغة و الإصطلاح؛ و يتكون من مطلبين:

المطلب الأول: المعنى اللغوي:

إن لمفردة (جدل) معنى واحد على الرغم من اشتقاقاتها المختلفة و هي عبارة عن: القوة و المتانة و الشدة.[٨]

و اعتبر الراغب أن أصل الكلمة (جدلت الحبل) أي (أحكمت فتله) و يضيف: (الجدل المفأوضة على سبيل المنازعة و المغالبه)[٩] أما المرحوم المظفر فيكتب حول معنى هذه الكلمة فيقول ما معناه:

إن الشدة و المجادلة فى الخصومة و العدأوة فى القول يتم أحياناً بإستخدام حيل و طرائق بعيدة عن العدل و الإنصاف، لذلك فان الشريعة الإسلامية المقدسة قد نهت عنه و خاصة في أيام الحج. قال تعإلى: «فَلا رَفَثَ وَ لا فُسُوقَ وَ لا جِدالَ فِي الْحَجِّ»[١٠] و الاعتكاف.[١١]

المطلب الثاني: المعنى الإصطلاحي:

للجدل فى الإصطلاح معنيان: أحدهما مطلق و عام يشمل جميع العلوم و يستخدم فيها، و الآخر مفهوم خاص يراد منه أحد أقسام الصناعات الخمس للمنطق. وهي عبارة عن: البرهان، والجدل، والخطابة، والمغالطة والشعر. إذن فالجدل – بمعنى ما – أحد فروع علم المناظرة، و يستعمل فى الاصطلاحات الفقهية بمعنى آخر ويعد من أنماط القياس في علم المنطق. [١٢]

يقول الشيخ الطبرسي في معنى الجدل: «الجدل هو عبارة عن إقناع الخصم بالعدول عن طريقته و مذهبه بواسطة الدليل و البرهان الذي يقام عليه».كما يقول في معنى الآية الكريمة: «وَ جادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ»؛[١٣] أي عليك بمناظرتهم بأفضل ما عندك من دليل و اسلوب، و ينبغي أن تخاطبهم بالرفق و اللين و المداراة لكي تقنعهم بالعدول عن الفكر و العقيدة التي يحملونها. أي ناظرهم بالقرآن و بأحسن ما عندك من الحجج و تقديره بالكلمة التي هي أحسن و المعنى افتل المشركين و اصرفهم عما هم عليه من الشرك بالرفق و السكينة و لين الجانب في النصيحة ليكونوا أقرب إلى الإجابة فإن الجدل هو فتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج و قيل هو أن يجادلهم على قدر ما يحتملونه. [١٤]

و الجدال هو الحجة التي تستعمل لفتل الخصم عما يصر عليه و ينازع فيه من غير أن يريد به ظهور الحق بالمؤاخذة عليه من طريق ما يتسلمه هو و الناس أو يتسلمه هو وحده في قوله أو حجته. فينطبق ما ذكره تعالى من الحكمة و الموعظة و الجدال بالترتيب على ما اصطلحوا عليه في فن الميزان بالبرهان و الخطابة و الجدل. غير أنه سبحانه قيد الموعظة بالحسنة و الجدال بالتي هي أحسن، ففيه دلالة على أن من الموعظة ما ليست بحسنة ومن الجدال ما هو أحسن و ما ليس بأحسن و لا حسن و الله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة ومن الجدال بأحسنه.[١٥]

المطلب الثالث: أنواع الجدل:

بالنظر لكون الجدل من العنأوين التي وردت فى النص القرآني وجاء فى الروايات ذمّها، و انتقادها، وان الله سبحانه وتعالى طلب من النبي الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله) أن يواجه بها أساليب المعاندين الجدلية، وحثه

على مجادلة أعداء الإسلام لا بالطريقة التي يستخدمها أولئك، و انما حدّد له بالتي هي أحسن، و في هذه الحالة فان الجدل يصطبغ بصبغة طلب الحق والهداية، لذلك فان هناك نوعين من الجدل و هما عبارة عن: ١. الجدل بالأحسن، ٢. الجدل بغير الأحسن

المطلب الرابع: الجدل بالأحسن:

روي عن أبي محمد العسكري (علیه السّلام) قال: ذكر عند الصادق (علیه السّلام) الجدال فی الدين و أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) و الأئمة المعصومين (عليهم السّلام) قد نهوا عنه فقال الصادق (علیه السّلام): لم ينه عنه، لكنه نهي عن الجدل بغير الأحسن، قد نهي عنه فی الإسلام.

ألم تسمع قوله عزّ و جلّ فی القرآن الكريم: «وَ لا تُجادِلُوا أَهْلَ الْكِتابِ إِلاَّ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ». [١٦]

و ألم تقرأ الآية الكريمة: «ادْعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ». [١٧]

فكيف تقول إن الله سبحانه و تعالى حرّم الجدل مطلقاً بينما القرآن يصرّح في الآية الكريمة:

«وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلاَّ مَنْ كانَ هُوداً أو نَصارى تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقينَ». [١٨]

و اعتبر الله أن جلبهم للدليل و البرهان مظهر لصدقهم، و صحة أقوالهم، و عدّ الحصول على العلم متوقفاً على إقامة البرهان. فهل يكون ذلك في غير الجدال بالتي هي أحسن؟

و بعد أن يوضح (ع) الجدال بغير الأحسن: و أما الجدال بالتي هي أحسن فهو ما أمر الله به نبيه أن يجادل به من جحد البعث بعد الموت و احيائه له فقال الله حاكياً عنه:

«وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَميمٌ». [١٩]

فقال الله ــ سبحانه و تعالى ــ فی الرد عليه: «قُلْ يُحْييهَا الَّذي أَنْشَأَها أولَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ». [٢٠]

أفيعجز من ابتدأ به لا من شيء أن يعيده بعد أن يبلى؟! بل ابتداؤه أصعب عندكم من إعادته. أي اذا كمنت النار الحارة فی الشجر الأخضر الرطب يستخرجها فعرفكم بذلك أنه على إعادة ما بلي أقدر. فاذا كان خلق السمأوات

والأرض أعظم و أبعد في أوهامكم و قدركم أن تقدروا عليه من إعادة البالي فكيف جوزتم من الله خلق هذا الأعجب عندكم و الأصعب لديكم ولم تجوزوا منه ما هو أسهل عندكم من إعادة البالي.

ثم قال الامام الصادق (علیه السّلام): «فَهُوَ الْجِدَالُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ لِأَنَّ فِيهَا قَطْعَ عُذْرِ الْكَافِرِينَ وَ إِزَالَةَ شُبَهِهِم». [٢١]

و في ضوء هذه الرواية، فان المناظرة اذا كانت في سياق دحض حجج الكافرين و ذرائعهم فهي مطلوبة، ومستحسنة، و مندوبة. فأعذار و ذرائع الكافرين ناتجة عن الجهل و فقدان البصيرة و الوعي، و انعدام الحجة والبرهان، و بقاء أسئلتهم بلا جواب و رد مقنع، و غير ذلك، و كلها قابلة للحل و التوضيح و الاقناع في مناظرة هادفة و برهانية.

فی الجدال بالحق ليس الهدف تحقير الشخص المناظر، و اثبات التغلب على الآخر و الإنتصار والتفوق عليه. بل الهدف هو التغلغل في فكره و التأثير على عقله و أعماق روحه. و لهذا فان طريقة المناظرة وصيغتها تكون على وفق الجدال بالتي هي أحسن وتختلف عن الجدال بالباطل في كل شيء. و لذلك فان الشخص المجادل و المناظر ومن أجل أن ينفذ في ذهن الطرف المقابل ينبغي أن يستخدم الوسائل التالية التي وردت في القرآن الكريم اشارات لطيفة عنها:

١. ينبغي أن لا يصر على قبول القول الحق بصفته كلامه هو شخصياً، بل إن استطاع أن يوحي للطرف المقابل بأن توصُّله إلى النتيجة الصحيحة و الفكرة الصائبة هو من بنات أفكاره هو واقتناعه؛ فهذا أفضل وأكثر تأثيراً. بعبارة أخرى؛ جَعْل الطرف المقابل يشعر بأن الفكرة قد انبثقت من فكره و ذهنه هو، و كانت من بنات عقله ونفسه، فهذا أفضل من أجل أن يحس بالاقتناع بها والإقبال عليها طوعياً.

و ربما يكون هذا هو سبب أن القرآن الكريم في اثباته كثيراً من الحقائق المهمة سواء التوحيد، أو نفي الشرك، و غيرهما من المواضيع العقائدية، يتنأول الموضوع على صيغة استفهام بعد ذكر أدلة التوحيد. لنرى ماذا تقول الآية المباركة: «أَ إِلهٌ مَعَ اللَّهِ». [٢٢]

٢. ينبغي اجتناب كل شيء يثير اللجاجة و العناد لدى الطرف المقابل و يجعله يصر على موقفه. يقول القرآن الكريم: «وَ لا تَسُبُّوا الَّذينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْواً بِغَيْرِ عِلْمٍ...». [٢٣]

٣. فى التباحث و النقاش مع الآخرين ينبغي مراعاة الإنصاف بأقصى ما يمكن، مهما كان ذلك الشخص، لكي يشعر أن الطرف المقابل يتحدث معه لغرض أيضاح الحقائق و طرح الوقائع كما هي.

على سبيل المثال؛ عندما يتحدث القرآن الكريم عن الخمر والقمار فانه ينظر بشمولية إلى الايجابيات والسلبيات الموجودة فيهما، حتى لو كانت المنفعة جزئية و ضئيلة و تتمثل فى الناحية المادية و الاقتصادية و حسب، وتنتفع بها فئة قليلة، لكنه لم يتجاهلها ولم يغض الطرف عن ذكرها.

تقول الآية المباركة: «يَسْئَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَ الْمَيْسِرِ قُلْ فيهِما إِثْمٌ كَبيرٌ وَ مَنافِعُ لِلنَّاسِ وَ إِثْمُهُما أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِما....». [٢٤] و من الطبيعي أن هذا الاسلوب من الكلام و هذا النمط من الخطاب يترك تأثيراً عميقاً فى السامع و المخاطب.

٤. يجب أن لا يقابل الاساءة بالإساءة و الحقد بالبغضاء، بل يحأول استخدام المحبة و الود و الرأفة و الحلم و العفو. إذ إن المعاملة بالمثل و التعامل مع الغريم بعكس أخلاقه يليّن قلبه العنيد و يؤثر في مشاعره و مواقفه.

لنستمع إلى قول الله جل اسمه: « وَ لا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَ لاَ السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذي بَيْنَكَ وَ بَيْنَهُ عَداوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَميمٌ». [٢٥]

المبحث الثالث: المناظرة و أساليبها في سيرة النّبى (صلى الله عليه وآله)

بالنظر لوجوب اقتدائنا بسيرة النّبى (صلى الله عليه وآله)؛ لذلك فان دراسة الابعاد المختلفة لسيرته و مسيرته وتسليط الضوء عليه تحظى بجانب كبير من الأهمية، من ناحية ومن ناحية أخرى، بالنظر لكون المناظرة ــ كغيرها من الأساليب التبليغية ــ ذات أصول و أسس و ترتيبات معينة و ينبغي مراعاة نسقها و موازينها و التزام معاييرها المتعارفة لكي يتحقق بها و لها النجاح، و لهذا فانه عن طريق الدراسة و التحليل لمناظرات النّبى الأعظم في القرآن الكريم، فقد تم استخراج و تحديد اساليب المناظرة وأصولها. ومن أسالىبها و أصولها التي جاءت فى سىرة النّبى (صلى الله عليه وآله) كما يأتى:

المطلب الأول: الأسلوب الإرشادي

١. الدعوة إلى التوحيد و رفض الشرك

إن الدعوة إلى توحيد الله تبارك و تعالى و نفي الشرك عنه يعتبر من أبرز مهام الأنبياء جميعاً (عليهم السّلام) وهم يستغلون أي فرصة تتاح لهم للحوار مع قومهم، لأنه عبر قبول التوحيد الحقيقي يتاح سبيل الوصول إلى الفضائل الأخلاقية للمخاطبين.

و في بيئة و قوم استولى عليهم الشرك و استحوذ عليهم الكفر و استحكم؛ بحيث امتدت جذوره إلى كل مكان. فكان يعدُّ اظهار التوحيد و ترويج وحدانية الله عملاً يتطلب شجاعة لا نظير لها وقد تجلت في شخصية الرسول الكريم (صلى الله عليه وآله).

قال الله تعالى فى كتابه الكرىم: « وَ لَقَدْ بَعَثْنا في كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوت.. [٢٦]**.»**

و جاء فى المىزان فى تفسىر القرآن: ما كانت حقيقة بعث الرسول إلا أن يدعوهم إلى عبادة الله و اجتناب الطاغوت لأن الأمر و كذا النهي من البشر و خاصة إذا كان رسولا ليس إلا دعوة عادية لا إلجاء و اضطرار تكوينيا، و لا أن للرسول أن يدعي ذلك حتى يرد عليه أنه لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء و إذا لم يشأ فلا معنى للرسالة. [٢٧]

و كان الرسول الله (صلى الله عليه وآله) ىدعو الناس إلى عبادة الله و طاعة الله فى كل شؤون الحىاة والتخلق بالأخلاق الألهىة و اجتناب الرذائل الأخلاقىة، كما قال الله تعالى:

»وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ بِذِي الْقُرْبى وَ الْيَتامى وَ الْمَساكينِ وَ الْجارِ ذِي الْقُرْبى وَ الْجارِ الْجُنُبِ وَ الصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَ ابْنِ السَّبيلِ وَ ما مَلَكَتْ أَيْمانُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ مَنْ كانَ مُخْتالاً فَخُوراً [٢٨]**.«**

ىقول العلامة طباطباىى فى تفسىر هذه الآىة قوله تعالى: «وَ اعْبُدُوا اللَّهَ وَ لا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً» هذا هو التوحيد غير أن المراد به التوحيد العملي، وهو إتيان الأعمال الحسنة- و منها الإحسان الذي هو مورد الكلام-

طلباً لمرضاة الله وابتغاء لثواب الآخرة دون اتباع الهوى والشرك به. فالمراد بعبادة الله و الإخلاص له فيها أن يكون طلباً لمرضاته، وابتغاء لمثوبته لا لاتباع الهوى. [٢٩]

٢. الكلام الهادئ و مراعاة الأدب في مقابل التهم

لا شك بأن القول اللين و الكلام الهادئ هو أحد الأساليب المشتركة لكل المبلغين الإلهيين الذين تحدثوا مع مخاطبيهم من أي فئة كانوا و أي طبقة، بحيث كانت لغتهم معهم تصدر عن لسان طيب لين و كلام محبّذ، و اجتنبوا القول الحاد و الخلق الفظ.

إن تميّز المبلغ بالمحبة و الشفقة مع مخاطبيه له تأثير عجيب في أن يؤتي كلامه ثماره و ينجح في تبليغ المفاهيم المتوخاة لهم، لأن الخطاب المقترن بالمحبة و الود نحو المخاطب يجتذبه ويليّن قلبه ويسوقه نحو الاتباع والانقياد.

لقد حافظ الأنبياء دائماً على الكرامة الذاتية و العزة المعنوية للإنسان في سلوكياتهم و تصرفاتهم، و حافظوا على الحرمات في مواقفهم، و في كل الظروف، حتى في مواجهة التهم و الافتراءات الواهية التي لا أساس لها. لذلك وبدلاً من الغيظ و المعاملة بالمثل مع المفترين والمخالفين، كانوا يكتفون بردّ التهم المطروحة فقط.

ومن الأساليب المشتركة والاصول الأولية لدعوة المبلغين الالهيين هو القول اللين واللطيف والمحبّذ مع مخاطبيهم إلا في حالة قطع الأمل منهم و من استجابتهم للهدى و كونهم مستحقين للعذاب الالهي، و العناد بوجه ارادة الله و تحديهم للرب العظيم بكل لجاجة و عناد. هذا هو أسلوب و نمط و عادة الأفذاذ.

«وَ إِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراماً». [٣٠]

و كذلك: «وَ إِذا خاطَبَهُمُ الْجاهِلُونَ قالُوا سَلاماً». [٣١]

و بهذا الترتيب و عبر النهج المقترن بالشفقة و المودة و الخطاب المفعم بالعاطفة و المحبة أرسلوا المفاهيم التوحيدية إلى قلوب و عقول المخاطبين، و بلّغوها لهم.

إن عظمة وسمو شخصية النبي الأعظم محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) واضحة و بيّنة حتى قال الله تبارك وتعالى عنه «وَ إِنَّكَ لَعَلى خُلُقٍ عَظيمٍ» [٣٢]و هذا ما كان يذعن به و يعترف بسمو خلقه القاصي والداني حتى المخالف له، بالنظر لكون النبي (صلى الله عليه وآله) قد جعل ذلك من جملة استراتيجياته الدعوية. تثير من خصوم النبي الأكرم(صلى الله عليه وآله) و مخالفيه الألداء وقبل أن يذعنوا لمنطق لسانه أو يخضعوا لقوة سيفه، استسلموا من داخلهم لعظمة الاخلاق النبوية و أذعنوا لشخصيتة الفذة.

إحدى أبرز خصال الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله) هي الاسلوب الهادئ و الخلق الرحيم، لأنه لو كان فظاً وخشناً لنفروا منه و لهذا قال تبارك و تعالى:

«فَبِما رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَ لَوْ كُنْتَ فَظًّا غَليظَ الْقَلْبِ لاَنْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ» [٣٣].

و هنا ثمة نكتة مهمة تتضمنها آية الإنذار وهي:

« وَ أَنْذِرْ عَشيرَتَكَ الْأَقْرَبينَ * وَ اخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ». [٣٤]

فهذه الآية تتضمن ــفي الحقيقة ــ الجمع بين اسلوبين مختلفين هما: المداراة و اللطف و المرونة من ناحية، والصلابة و الثبات و الإنذار من ناحية اخرى، في الوقت نفسه، و تشير الآية أنه لا بدّ من منهج الإنذار والموقف الرصين والثابت و توجيه الإنذار لأنه ضروري، لكن خفض الجناح وهو كناية عن الرفق و المداراة وحسن المعاشرة خاصة في التعامل مع المؤمنين أسلوب مؤثر و واجب اتباعه و هذا ما أشار إليه صاحب كتاب السيرة النبوية. يقول:

وهنا نجده قد قرن المداهنة والرفق و المحبة معاً، وليس فيها استثناء في الدعوة الدينية، ولا فرق فيها بين الذات والآخر الأجنبي، ومن أجل إحداث هذا التحول الأساسي فى البشرية وجدنا أن الله تبارك و تعالى يؤكد «وَاخْفِضْ جَناحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنينَ». [٣٥]

إن نظرة إلى المناظرات التي جرت و انعقدت بين رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) و مخالفيه ومنأوئيه، و خاصة قضية المباهلة و الحوار و النقاش مع اليهود و النصارى و بعض رؤساء قريش تدل على أن النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) كان يكلمهم بكرامة و خلق فذ.

على سبيل المثال ان ابن هشام يقول فى السيرة النبوية:

إن علماء و أحبار اليهود كانوا يطرحون اسئلة المعاندين واستفسارات المعاندين و شبهات خلط الحق بالباطل وكان النبي يجيب عنها بارشاد القرآن الكريم و تسديد الله و هدايته و يرد عليها بالكامل، كما كان المؤمنون يستفسرون منه (صلى الله عليه وآله) عن مسائل الحلال والحرام فيجيب عنها اجابات وافية و شافية. [٣٦]

ومؤلف كتاب الاحتجاج يروي إحدى مناظرات النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع المشركين نقلاً عن الامام الحسن العسكري (علىه السّلام):

إن النبي لما سمع شبهات و تهماً قالها له المشرك عبدالله بن أبي بن أمية المخزومي: ما أنت يا محمد إلا رجلاً مسحوراً و لست بنبي، أجابه (صلى الله عليه وآله):

«وَ أَمَّا قَوْلُكَ: «مَا أَنْتَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُوراً» فَكَيْفَ أَكُونُ كَذَلِكَ، وَ قَدْ تَعْلَمُونَ أَنِّي فِي صِحَّةِ التَّمْيِيزِ وَ الْعَقْلِ فَوْقَكُمْ فَهَلْ جَرَّبْتُمْ عَلَيَّ مُنْذُ نَشَأْتُ- إلى أَنِ اسْتَكْمَلْتُ أَرْبَعِينَ سَنَةً جَرِيرَةً أو زَلَّةً أو كَذِبَةً أو خِيَانَةً أو خَطَأً مِنَ الْقَوْلِ، أو سَفَهاً مِنَ الرأي أَ تَظُنُّونَ أَنَّ رَجُلًا يَعْتَصِمُ طُولَ هَذِهِ الْمُدَّةِ- بِحَوْلِ نَفْسِهِ وَ قُوَّتِهَا أو بِحَوْلِ اللَّهِ وَ قُوَّتِه»؟ [٣٧]

لقد كان النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) مرناً و متسامحاً في الشؤون الشخصية لا في الامور المبدئية. ففي معاشرته الشخصية و العائلية و تصرفاته الفردية مع الآخرين يتسامح، و يداري، و لا يتشدد مع الناس بحيث إن بعض الكتّاب و المؤلفين اعتبر تسامحه و مرونته و شفقته و سموه الأخلاقي إحدى أهم سجاياه الأخلاقية و أصول دعوته.

وفي ضوء منطق الأنبياء فان لكل انسان حرمته و منزلته الانسانية و لا يمكن إهانة أي إنسان حتى بسبب كونه غير مؤمن، و اما احترام النبي (صلى الله عليه وآله) للناس فله أسباب أهم وهي عبارة عن تمهيد الطريق و فتح السبيل أمامهم للايمان بالرسالة الالهية و اقناعهم بالشريعة السمأوية.

روي انه دخل رجل إلى المسجد يوماً و كان النبي محمد (صلى الله عليه وآله) جالساً فيه وحده، فعندما شاهد الرجل قام و فسح له مجالاً ليجلس فتعجب الرجل و قال: يا رسول الله ان المكان متوفر وكثير فقال له النبي (صلى الله عليه وآله):

« إنّ مِن حَقِّ المُسلمِ عَلَى المُسلمِ إذَا رَأى أخَاهُ يُريدُ أن يَجلِسَ أن يَحتَرِمَهُ وَ يُوَقِّرَهُ وَ يَنهضَ لَهُ وَ يَفسحَ لَهُ مَجَالاً». [٣٨]

٣. الإقناع التدريجي (جعل المخاطب يقتنع و يتفهم):

إن أنبياء الله (عليهم السّلام) من أجل إلزام أعدائهم و إدانتهم و اقناعهم تدريجاً كانوا يدارون عقولهم، و يسايرونهم في أول الأمر، بحيث يقبلون ببعض مقدمات ادعائهم، و لكن مع استمرار المناظرة يفندون كل أقوالهم، و ينسفون كل ادعاءاتهم بالدلائل البيّنة و الأقوال الرصينة. و في هذا الاسلوب نجد المبلّغ و على الرغم من اعتقاده الجازم ويقينه التام من عقائده الخاصة، عندما يتعامل مع المخاطب ويناظره يتظاهر بالتنازل موقتاً عن بعض عقائده، ويجعل نفسه في مقام البحث و النقاش، مسايراً و مدارياً لعقيدة المخاطب. و بذلك يظهر نمط من التضامن والتواؤم بين الطرفين في المناظرة و يتم تمهيد الأرضية لإقناع المخاطب والتأثير عليه ايجابياً.

و بما أن واجب كل مبلغ اجتذاب قلوب الناس من أجل إرشادهم و هداية عقولهم فان النبي كان يحأول أن يقرب المسافات بين القلوب و العقول إلى أقل ما يمكن و أقصى ما يستطيع. و لهذا السبب فخلال تعامله مع اليهود والنصارى و المشركين كان يؤكد على الصحيح من عقائدهم و المقبول من أفكارهم لتكون تلك العقائد و الأفكار المشتركة جسراً يوصل بينه و بين عقولهم كي يسمعوا كلمة الحق و يوصل لهم العقائد الصائبة الجديدة المرسل بها من الله عزّوجلّ.

والنّبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) بإرشاد القرآن الكريم كُلّف بدعوة أهل الكتاب و مخاطبتهم باسلوب التركيز أولاً على العقائد المشتركة لديهم و لدى النبي و المسلمين. قال تعالى:

»قُلْ يا أَهْلَ الْكِتابِ تَعالَوْا إلى كَلِمَةٍ سَواءٍ بَيْنَنا وَ بَيْنَكُمْ أَلاَّ نَعْبُدَ إِلاَّ اللَّهَ وَ لا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئاً وَ لا يَتَّخِذَ بَعْضُنا بَعْضاً أَرْباباً مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ». [٣٩]

كما يأمر تبارك وتعالى في آيات اخرى قائلاً:

« اتْلُ ما أوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتابِ وَ أَقِمِ الصَّلاةَ إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهى عَنِ الْفَحْشاءِ وَ الْمُنْكَرِ وَ لَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَ اللَّهُ يَعْلَمُ ما تَصْنَعُونَ». [٤٠]

و في هذه الآيات و آيات أخرى مشابهة نشهد منهجاً جديداً و اسلوباً من المناظرة مع الفئات الأخرى؛ و هي التركيز على النقاط المشتركة أولاً ــ عملياً ــ و البحث عن القواسم المشتركة لكي تتخذ مرتكزاً و منطلقاً للمناظرة على بقية النقاط و التفاصيل، بدلاً من المباشرة و الابتداء من نقاط الافتراق و الاختلاف واثارة التعصب. لذلك فان الآيات مارة الذكر تؤكد على كون التوحيد هو القدر المشترك بين الأديان، و قد تم التركيز عليها و قد أُمر النّبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) أن ينتهج هذا الأسلوب. في هذا النمط من المناظرة تستخدم مسلمات الخصم المقبولة لديه لإقناعه.

المطلب الثاني: الأسلوب البرهاني

١. الإستدلال المنطقي

إن أنبياء الله (عليهم الصلاة والسّلام) كانوا يصغون لأسئلة الناس و استفساراتهم و ادعاءاتهم، و يجيبون عليها بأدلة رصينة و كلام مبين، لإقناع المخاطب قبل أي شيء آخر، إذ ينبغي سماع أسئلته و ادعاءاته و أقواله والتدبر فيها و البحث عن جوابها و النظر في الامور الغامضة والمشكوك فيها ومعالجتها.

فاذا تمكن المناظر من تسليط الضوء على الامور المثيرة للشك والتردد و تبيان حقيقتها و تقليلها فسوف يمهد الأرضية للغلبة والاقناع، وهكذا رأينا أن النبى (صلى الله عليه وآله) قدّم الاستدلالات العقلية في كثير من مناظراته من أجل تفنيد شبهات وشكوكه الطرف المقابل.

الْجِدَالُ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَهُوَ مَا أَمَرَ اللَّهُ تَعَالِى بِهِ نَبِيَّهُ أَنْ يُجَادِلَ بِهِ مَنْ جَحَدَ الْبَعْثَ بَعْدَ الْمَوْتِ وَ إِحْيَاءَهُ لَهُ فَقَالَ اللَّهُ لَهُ حَاكِياً عَنْهُ- وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلًا وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالِى فِي الرَّدِّ عَلَيْهِ- قُلْ يَا مُحَمَّدُ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أولَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ. الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ مِنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ ناراً فَإِذا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقِدُونَ إلى آخرِ السُّورَةِ فَأَرَادَ اللَّهُ مِنْ نَبِيِّهِ أَنْ يُجَادِلَ الْمُبْطِلَ الَّذِي قَالَ كَيْفَ يَجُوزُ أَنْ يَبْعَثَ هَذِهِ الْعِظَامَ وَ هِيَ رَمِيمٌ فَقَالَ اللَّهُ تَعَالِى قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنْشَأَها أولَ مَرَّةٍ أَ فَيَعْجِزُ مَنِ ابْتَدَأَ بِهِ لَا مِنْ شَيْءٍ أَنْ يُعِيدَهُ بَعْدَ أَنْ يَبْلَى بَلِ ابْتِدَاؤُهُ أَصْعَبُ عِنْدَكُمْ مِنْ إِعَادَتِه. [٤١]

٢. المساءلة و إطلاق الأسئلة و الاستفسارات على الطرف المقابل (الاستدلال مع المساءلة)

إن الأنبياء يطرحون أحياناً ــ في مقابل الشبهات التي يطرحها منأوئوهم و خصومهم، أسئلة بسيطة و عادية بدلاً من النقاش و الاستدلال المعقد، و يجعلون المخاطب يشعر بعجزه التام في مقابلها.

و كل من كانت لديه ادعاءات و مزاعم عندما يواجه أسئلة الأنبياء و استفساراتهم منه يقر بعجزه و يذعن بجهله وحينذاك يغدو مهيأً لسماع الحقيقة. اي إنهم (عليهم السّلام) يواجهون الخصوم بأسئلة تنقلهم من مرحلة الانكار إلى مرحلة الشك و التأمل، فمرحلة الاستعداد لسماع الحقائق و القبول بالقول الصائب و الدليل الرصين للأنبياء.

ومن وجهة نظر القرآن الكريم يعتبر التعقل و التدبر ضامناً للوصول إلى السعادة و بلوغ الفلاح و النجاة من العذاب الأبدي، و المراد من تبيان الآيات المباركة هو تشغيل العقل وحثه لدى شرائح الناس:

«قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآياتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ» [٤٢]

أي اننا قد أوضحنا لكم الدلائل و الآيات كي تتعقلوا و تتدبروا فيها. [٤٣]

و بالنظر لهذه الحساسية و لأهمية التبصّر و التأمل و التعقل فان النّبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) و منذ انطلاق دعوته كان يعتمد على طرح الدليل المقنع و يطلب من خصومه و منأوئيه:

»قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ». [٤٤]

النبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) من اجل إرساء الاصول الرئيسية للقائد الإسلامية و نسف أساس العقائد والمذاهب الباطلة و الفاسدة، كانت لديه خزائن ملأى بالدلائل المقنعة و البراهين الرصينة و لذلك فقد تمكن من هدم كيان العقائد الشركية و الثقافة الجاهلية والاديان المنحرفة و جعلها كهشيم تذروه الرياح في يوم عاصف.

و يبدو من خلال آيات القرآن الكريم أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يواجه فئتين من الناس فكان يستخدم معهما اسلوب النقاش و البحث الجدل:

ــ الأولى: فئة من مشركي قريش

ــ و الثانية: فئة من اصحاب الكتب السمأوية العارفين بالأديان السمأوية و الرسل و الأنبياء المبعوثين من الله جلت عظمته.

و توجد في آيات الذكر الحكيم كتاب الله المجيد العديد من مناظرات النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) مع كل من هاتين الفئتين. من بين هذه المناظرات و المجادلات يمكن التطرائق إلى المناظرة التي جرت بين الرسول الكريم وثلة من المشركين. [٤٥]

فقد أجاب النبي العظيم (صلى الله عليه وآله) على طلب واهٍ من مشركي مكة بأن ينجز لهم بعض الأعمال الخارقة للعادة أو المعاجز، فتكلم النبي (صلى الله عليه وآله) بقواعد منطقية و دلائل كلامية من ضمنها استحالة وقوع المحال.

و من جملة ما طلبوه منه:

»وَ قالُوا لَنْ نُؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنا مِنَ الأرض يَنْبُوعاً * أو تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِنْ نَخيلٍ وَ عِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهارَ خِلالَها تَفْجيراً * أو تُسْقِطَ السَّماءَ كَما زَعَمْتَ عَلَيْنا كِسَفاً أو تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَ الْمَلائِكَةِ قَبيلاً * أو يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ أو تَرْقى فِي السَّماءِ وَ لَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنا كِتاباً نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً [٤٦]**.«**

فردّ عليهم النّبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) بما معناه:

١. ان البراهين و الحجج الإلهية تأتي لعباد الله ليس بناءً على مشتهياتهم و طلباتهم؛ لأنهم لا يعلمون ما هو لمصلحتهم و ما يضرهم و هم غافلون و جاهلون.

٢. اذا تقرر أن تكون المعجزة بناءً على اقتراحات و مشتهيات الأشخاص فان ثمة تناقضاً و تضاداً بين الأفراد و طلباتهم وهذا التناقض مستمر (فأحدهم مثلاً يطلب أن يكون الوقت نهاراً و الآخر ليلاً فيقول قائل: الأن فوراً اجعله ليلاً و الآخر يقول اجعله نهاراً الآن و هذا يستدعي اجتماع النقيضين و المحال و الله جلت عظمته هو الذي يتولى تدبير أمور العالم و لا يمكن أن يقع الأمر المحال باجتماع النقيضين)

كما أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان يقول لهم: «هَلْ كُنْتُ إِلاَّ بَشَراً رَسُولاً»

و على سبيل المثال يمكن أن نتطرائق إلى مناظرة أُخرى بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) و أحد المشركين، الذي كان يحمل عظماً نخراً و ضربه بيده على الأرض أمام النبي الاكرم (صلى الله عليه وآله) فتفتّت العظم و قال المشرك: من يحيي العظام و هي رميم؟ فأجابه النبي: يحييها الذي أنشأها أول مرة.

لنقرأ معاً قوله تعإلى:

»أَ وَ لَمْ يَرَ الْإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْناهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذا هُوَ خَصيمٌ مُبينٌ * وَ ضَرَبَ لَنا مَثَلاً وَ نَسِيَ خَلْقَهُ قالَ مَنْ يُحْيِ الْعِظامَ وَ هِيَ رَميمٌ * قُلْ يُحْييهَا الَّذي أَنْشَأَها أولَ مَرَّةٍ وَ هُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَليمٌ [٤٧].«

و قد أشارت كتب السيرة النبوية و المصادر التاريخية إلى كثير من المناظرات و المجادلات بين الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) و المشركين من قومه، و مع أهل الكتاب أيضا.

و من نماذج المناظرات النبوية ما حصل بين رسول الله محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله) و عتبة بن ربيعة ثم مع بعض كبار و رؤساء المشركين.

فقد جاء عتبة إلى النبى (صلى الله عليه وآله) فقال:

« يا ابن أخي، إنك منّا حيثُ علمتَ من السطوة في العشيرة و المكان فى النسب، و إنك قد أتيت قومك بأمر عظيم فرقت به جماعتهم، و سفهت به أحلامهم، و عبت به آلهتهم و دينهم، و كفرت به من مضى من آبائهم، فاسمع مني أعرض عليك أموراً تنظر فيها لعلك تقبل منها بعضها».

فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): «قل يا أبا الوليد أسمع».

قال عتبة: (يا ابن أخي؛ إن كنت إنما تريد جئت به من هذا الأمر مالاً جمعنا لك من أموالنا، حتى تكون أكثرنا مالاً، و إن كنت تريد به شرفاً سودناك علينا، حتى لا نقطع أمراً دونك، و إن كنت تريد به ملكاً ملكناك علينا، و إن كان هذا الذي يأتيك رئياً لا تستطيع رده عن نفسك، طلبنا لك الطب، و بذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه، فانه ربما غلب التابع على الرجل حتى يدأوى منه)

حتى اذا فرغ عتبة و رسول الله (صلى الله عليه وآله) يستمع منه قال له: أ قد فرغت يا أبا الوليد؟ قال: أفعل.

قال (صلى الله عليه وآله) و هو يتلو قوله تعالى: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ * حم * تَنْزيلٌ مِنَ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ * كِتابٌ فُصِّلَتْ آياتُهُ قُرْآناً عَرَبِيًّا لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * بَشيراً وَ نَذيراً فَأَعْرَضَ أكثرهُمْ فَهُمْ لا يَسْمَعُونَ * وَ قالُوا قُلُوبُنا في أَكِنَّةٍ مِمَّا تَدْعُونا إِلَيْهِ وَ في آذانِنا وَقْرٌ وَ مِنْ بَيْنِنا و بَيْنِكَ حِجابٌ فَاعْمَلْ إِنَّنا عامِلُونَ». [٤٨]

فتلاها و عتبة ينصت له و قد ألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يسمع منه، ثم قال النبي (صلى الله عليه وآله): قد سمعت يا أبا الوليد ما سمعت فأنت و ذاك.

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض: نحلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. فلما جلس إليهم قالوا: ما وراءك يا أبا الوليد؟

قال: ورائي أنى قد سمعت قولاً و الله ما سمعت مثله قط. و الله ما هو بالشعر و لا بالسحر و لا الكهانة. يا معشر قريش اطيعوني و اجعلوها بي، و خلوا بين هذا و بين ما هو فيه فاعتزلوه فوالله ليكوننّ لقوله الذي سمعت منه نبأ عظيم.

و من جملة المناظرات بين المشركين و الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) أسئلتهم منه عن الروح، و عن ذي القرنين، و أصحاب الكهف، و التي أشار اليها القرآن الكريم و الكتب السمأوية و كتب السيرة النبوية و تطرائقت لمضامينها. [٤٩]

و في هذه المناظرات كان الرسول العظيم يلقى التسديد من الوحي الالهي و يقدم الردود الوافية و الأجوبة الشافية لخصومه و مناظريه بحيث نزلت آيات كريمة عديدة في القرآن الكريم حول كل واحدة منها. [٥٠]

و يورد ابن هشام آيات أخرى وردت فى القرآن الكريم تكفلت كل منها الاجابة عن سؤال للمشركين في مناظراتهم مع النبي الأكرم، و نزلت بتلك الواقعة و المناسبة.

و كما ذكرنا آنفاً فإن فئة من أهل الكتاب كانوا يناقشون النبي (صلى الله عليه وآله) و يناظرونه من باب العناد، و يحأولون زرع الشك و التردد في قلوب المؤمنين بشأن عقائدهم.

و في سيرة ابن هشام وردت الاشارة إلى نص إحدى مناظرات أهل الكتاب مع رسول الله (صلى الله عليه وآله) حيث سأله أهل الكتاب اربعة أسئلة، فأجاب النّبي الأكرم (صلى الله عليه وآله) عنها جميعاً.

و قد تطرائق أبو زهرة في كتابه المعنون بالاسم "خاتم النبيين" إلى تفاصيل مناظرة أهل الكتاب مع نبينا الكريم ولكنه نشر أسئلة و أجوبة مختلفة عن تلك التي نقلها ابن هشام في سيرته. [٥١]

٣. زرع التردد و الشك في صفوف المخالفين:

بما أن عقيدة الباطل تخلو من الأصالة و الرصانة فان هز أركانها و زعزعة أسسها أسهل من إرساء قواعد التوحيد و تحكيمها.

لقد جرّب النبي الأكرم محمد(صلى الله عليه وآله) ذلك مراراً و عبر زرع الشك و التردد لدى المخالفين بحيث يتم مهاجمة عقائد المخالفين و دحضها.

لنقرأ معاً ماذا يقول القرآن الكريم:

»قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمأواتِ وَ الأرض قُلِ اللَّهُ وَ إِنَّا أو إِيَّاكُمْ لَعَلى هُدىً أو في ضَلالٍ مُبينٍ». [٥٢]

في هذه الآية الكريمة نجد أن الله لا يستخدم عنصر التحدي و الهجوم على الكفار في مناظراتهم بل يحأول زرع الشك و التردد في أعماق قلوبهم و جوهر كيانهم و يحأول استثارة الفطرة الراقدة في وجودهم و ايجاد صحوة الضمير و هدايتها نحو الحقيقة لكي يدركوا بأنفسهم بطلان اعتقادهم و تنوير أذهانهم بنور الإيمان. [٥٣]

لنقرأ معاً قوله تعإلى شأنه:

«أَمْ تَقُولُونَ إِنَّ إِبْراهيمَ وَ إِسْماعيلَ وَ إِسْحاقَ وَ يَعْقُوبَ وَ الْأَسْباطَ كانُوا هُوداً أو نَصارى قُلْ أَ أَنْتُمْ أَعْلَمُ أَمِ اللَّهُ وَ مَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ كَتَمَ شَهادَةً عِنْدَهُ مِنَ اللَّهِ وَ مَا اللَّهُ بِغافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ». [٥٤]

ففي اتخاذ هذا الاسلوب نمط من التنازل المرحلي المقطعي عن المواقف الحازمة للداعية، و بعبارة أخرى؛ فيها شيء من المسايرة للمخاطب وهو أمر ضروري أحياناً للحيلولة دون تعصب وحدّية المخاطب في حلبة الصراع الفكري.

أنّ النّبى (صلى الله عليه وآله) لردّ عقايد المشركين – و منهم الدهرية و الثنوية و مشركوا العرب – كان يستند إلى صفات الله تعالى و لقَطْعِ عُذْرِ الْكَافِرِينَ وَ إزالَةِ شُبَهِهِم.

قَالَ الصَّادِقُ (علیه السّلام) قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ (علیه السّلام) أَنْزَلَ اللَّهُ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذي خَلَقَ السَّمأواتِ وَ الأرض وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ ثُمَّ الَّذينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» وَ كَانَ فِي هَذِهِ الآيَة رَدٌّ عَلَى ثَلَاثَةِ أَصْنَافٍ مِنْهُمْ لَمَّا قَالَ «الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمأواتِ وَ الأرض» فَكَانَ رَدّاً عَلَى الدَّهْرِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَا بَدْوَ لَهَا وَ هِيَ دَائِمَةٌ ثُمَّ قَالَ «وَ جَعَلَ الظُّلُماتِ وَ النُّورَ» فَكَانَ رَدّاً عَلَى الثَّنَوِيَّةِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ النُّورَ وَ الظُّلْمَةَ هُمَا مُدَبِّرَانِ ثُمَّ قَالَ «ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ» فَكَانَ رَدّاً عَلَى مُشْرِكِي الْعَرَبِ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ أَوثَانَنَا آلِهَةٌ ثُمَّ أَنْزَلَ اللَّهُ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ إلى آخِرِهَا فَكَانَ رَدّاً عَلَى مَنِ ادَّعَى مِنْ دُونِ اللَّهِ ضِدّاً أو نِدّاً قَالَ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ (صلى الله عليه وآله) لِأَصْحَابِهِ قُولُوا إِيَّاكَ نَعْبُدُ أَيْ نَعْبُدُ وَاحِداً لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الدَّهْرِيَّةُ إِنَّ الْأَشْيَاءَ لَا بَدْوَ لَهَا وَ هِيَ دَائِمَةٌ وَ لَا كَمَا قَالَتِ الثَّنَوِيَّةُ إِنَّ النُّورَ وَ الظُّلْمَةَ هُمَا الْمُدَبِّرَانِ وَ لَا كَمَا قَالَ مُشْرِكُو الْعَرَبِ إِنَّ أَوثَانَنَا آلِهَةٌ فَلَا نُشْرِكُ بِكَ شَيْئاً وَ لَا نَدْعُو مِنْ دُونِكَ إِلَهاً كَمَا يَقُولُ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارُ وَ لَا نَقُولُ كَمَا قَالَتِ الْيَهُودُ وَ النَّصَارَى إِنَّ لَكَ وَلَداً تَعَالَيْتَ عَنْ ذَلِكَ قَالَ فَذَلِكَ قَوْلُهُ- وَ قالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كانَ هُوداً أو نَصارى وَ قَالَتْ طَائِفَةٌ غَيْرُهُمْ مِنْ هَؤُلَاءِ الْكُفَّارِ مَا قَالُوا قَالَ اللَّهُ تَعَالى يَا مُحَمَّدُ تِلْكَ أَمانِيُّهُمْ الَّتِي يَمُنُّونَهَا بِلَا حُجَّةٍ- قُلْ هاتُوا بُرْهانَكُمْ وَ حُجَّتَكُمْ عَلَى دَعْوَاكُمْ- إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ كَمَا أَتَى مُحَمَّدٌ بِبَرَاهِينِهِ الَّتِي سَمِعْتُمُوهَا ثُمَّ قَالَ بَلى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ تَعَالى يَعْنِي كَمَا فَعَلَ هَؤُلَاءِ الَّذِينَ آمَنُوا بِرَسُولِ اللَّهِ لَمَّا سَمِعُوا بَرَاهِينَهُ وَ حُجَّتَهُ- وَ هُوَ مُحْسِنٌ فِي عَمَلِهِ فَلَهُ أَجْرُهُ وَ ثَوَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ يَوْمَ فَصْلِ الْقَضَاءِ- وَ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ حِينَ يَخَافُ الْكَافِرُونَ مِمَّا يُشَاهِدُونَهُ مِنَ الْعِقَابِ- وَ لا هُمْ يَحْزَنُونَ عِنْدَ الْمَوْتِ. [٥٥]

المطلب الثالث: الأسلوب الخطابي

١. استعطاف الوجدان و تحريك الضمير مع التركيز على عنصر العقلانية:

بالنظر لكون أساليب التبليغ المختلفة و من جملتها المناظرة، اضافة لكونها تخاطب العقل و الفكر، إلا أنها تخص القلوب و العواطف أيضا و تتعلق بها، و لهذا وجدنا الأنبياء و المبلغين الربانيين قد إستخدموا ــ و حسب الظروف و المقتضيات و طبقاً لنمط المخاطبين ــ الاستدلال العقلي أو البيان العاطفي من أجل التأثير عليهم و إقناعهم.

ففي الأسلوب العاطفي نجد القرآن يسوق مضامين استدلالية و برهانية بأسلوب حاذق و ظريف، و يحرك و يحث العواطف الانسانية أيضا بحيث تستقر في قلب المخاطب و تترك فيه تأثيرات و تغييرات جذرية و عميقة.

ومن خلال نظرة نلقيها على مناظرات الأنبياء، و نوع الكلمات، و نمط العبارات المستخدمة فيها يتضح لنا إنه إلى جانب استهداف العقل والفكر لدى المخاطبين، يخاطبون أيضا قلب الانسان و ضميرهُ و فطرته و يركزون عليها كذلك.

٢. الانذار وإتمام الحجة البالغة على المشركين:

لقد حذّر الأنبياء قومهم من العذاب الالهي، خلال دعوتهم إلى التوحيد، و حثوهم على عبادة الله الواحد الاحد الصمد، و معظم الوثنيين كانوا يخشون من غضب الاصنام و لعنة الآلهة المصطنعة فيقربون لها القرابين ويعبدونها، و لذلك كان الأنبياء يحاربون الاصنام ويواجهون عبادتها بالرفض والتفنيد، وينذرون عابديها ويبصّرونهم بأن الله هو الذي خلقهم و ما يعملون، و هو المدبر لهم و للكون، و لذلك فان ربهم هو الله وحده وليس هناك أي معبود أجدر وأليق و أحق بالعبادة منه، وعلى هذا الاساس ينبغي الخوف من عذاب الله وعبادته وحده.

قال الله تعالى: «أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ اللَّهَ إِنَّني لَكُمْ مِنْهُ نَذيرٌ وَ بَشيرٌ [٥٦].»

یقول الطبرسی فی تفسیر «إِنَّنِي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ وَ بَشِيرٌ»: هذا إخبار من النبي (صلى الله عليه وآله) أنه مخوف من مخالفة الله و عصيانه باليم العقاب مبشر على طاعة الله بجزيل الثواب. [٥٧]

قَالَ رسول الله (صلى الله عليه وآله) فی إحتجاجه مع الیهود: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ بَعَثَنِي «كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيراً ونَذِيراً» [٥٨]وَحُجَّةً عَلَى الْعَالَمِين.[٥٩]

و كذلک قال الله تعالى فی صفات الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله):

»فَلَعَلَّكَ تارِكٌ بَعْضَ ما يُوحى إِلَيْكَ وَ ضائِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَنْ يَقُولُوا لَوْ لا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَنْزٌ أو جاءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّما أَنْتَ نَذيرٌ وَ اللَّهُ عَلى كُلِّ شَيْءٍ وَكيلٌ [٦٠].«

أكّد اللّه تعالى مهمّة نبيّه فقال: «إِنَّما أَنْتَ نَذِيرٌ ...»، أي ليس عليك إلا إنذارهم بما أوحي إليك، غير مبال بما يقولون، و لا آت بما يقترحون، و لك أسوة بإخوانك من الرّسل قبلك، فإنهم كذّبوا و أوذوا، فصبروا حتى أتاهم

نصر اللّه عزّ وجلّ، و اللّه هو الرّقيب على عباده، الحفيظ للأمور، فتوكّل عليه، و لا تبال بهم، فإنه عالم بحالهم، و مجازيهم على أعمالهم.[٦١]

٣. الايجاز بعد الإطناب:

لقد جادل الناس رسول الله (صلى الله عليه وآله) بشأن عيسى (علیه السّلام) و قد بيّن الله تلك المسألة قائلاً:

»وَ لَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلاً إِذا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ * وَ قالُوا أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ ما ضَرَبُوهُ لَكَ إِلاَّ جَدَلاً بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ». [٦٢]

فعندما رأت قريش أن القرآن يتطرائق إلى قصة عيسى (علیه السّلام) كمثل، استهزأت بها و طرحت استفهاماً استنكارياً بالقول:

«أَ آلِهَتُنا خَيْرٌ أَمْ هُوَ» فانهم قارنوا بين المسيح في رأي المسيحية الذي يعدّ ابن الله عندهم، و بين آلهتهم وفي رفضهم لدعوة رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى التوحيد قالوا: هل الله أفضل أم المسيح؟

يقول العلامة الطباطبائي:

هذا النمط من الجدل أسخف نوع من الجدال، لأنهم أرادوا القول ضمنه بأن الأوصاف التي يتضمنها القرآن لعيسى ليست تستحق الإعتناء أصلاً ولا أهمية لها. [٦٣]

كما أن الآية الكريمة تقول:

«إِنَّ مَثَلَ عيسى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرابٍ ثُمَّ قالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ». [٦٤]

إذ نزلت هذه الآية بشأن نصارى نجران و الاحتجاج عليهم حيث اعتبرت خلقة عيسى كخلقة آدم، و تضمنت دليلين على نفي ألوهية عيسى (علیه السّلام):

١. ان الله خلق عيسى دون أب. و كل مخلوق له خالق حتماً و ليس يتبوأ منزلة الألوهية.

٢. ان خلق عيسى ليس بأصعب و لا أسمى من خلق آدم.

فالنصارى ينبغي أن يتخذوا لآدم أيضا مقام الألوهية إذن و الحال هذه، بينما هم لا يهبون لآدم مقاماً كهذا في عقيدتهم، و على ذلك ففيما يخص عيسى هو الآخر لا ينبغي أن يقولوا بألوهيته، لأن آدم و عيسى كليهما قد خلقا دون أب و يشبهان بعضهما بعضاً من هذه الناحية. [٦٥]

المبحث الرابع: مناط نجاح النبى الأعظم (صلى الله عليه وآله) و ركائز توفيقاته:

إيجازاً للأمور التي ذكرناها بشأن أساليب مناظرات رسول الله (صلى الله عليه وآله) و منهج دعوته يمكن القول: إن مناط توفيقاته – بالاضافة إلى اتّباع الأساليب المذكورة سلفاً – يكمن في روح دعوته، بحيث إن طرائقه و أساليبه في مناظراته تحتوي على أسس راسخة و ركائز محكمة اتاحت له قدرة النفوذ هكذا.

و نجد أن القرآن الكريم يبيّن ركيزة النجاح و عنصر التوفيق للنبي الأعظم (صلى الله عليه وآله) و هو يصدق بالطبع على باقي الأنبياء فيقول عزّ من قائل:

»ادْعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَنُ». [٦٦]

و هنا نجد أن عناصر التوفيق و ركائز النجاح هي ثلاثة تكفلت بتحقيق أهداف الأنبياء، عبر المطالب الآتية:

المطلب الأول: الإستدلال و المنطق:

كل نبي يبعث إلى الناس و يواجههم و يدعوهم، فعليه أن ينتهج المنطق و يتّبع اسلوب الاستدلال للكلام معهم، والقرآن الكريم يدعو الناس – على لسان الانبياء (عليهم السّلام)– إلى التعقل و التفكر و التدبّر بحيث انهم عندما يواجهون من يقولون « إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ وَ إِنَّا عَلى آثارِهِمْ مُقْتَدُونَ» [٦٧].

يصدعون بالقول:

»قالَ أَ وَ لَوْ جِئْتُكُمْ بِأَهْدى مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آباءَكُمْ قالُوا إِنَّا بِما أُرْسِلْتُمْ بِهِ كافِرُونَ» [٦٨].

المطلب الثاني: الموعظة الحسنة:

الموعظة من الوعظ و هو «زجر مقترن بتخويف»،[٦٩] قال الخليل: «هو التذكير بالخير فيما يرق له القلب»،[٧٠] وقال الله تعالى في كتابه عن الموعظة كالآيات التي يأتي في هذا المجال:

«يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ»[٧١]«قُلْ إِنَّما أَعِظُكُمْ بِواحِدَةٍ»،[٧٢] « ذلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِ»،[٧٣] «يا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ»، »[٧٤]وَ جاءَكَ في هذِهِ الْحَقُّ وَ مَوْعِظَةٌ وَ ذِكْرى لِلْمُؤْمِنِينَ»،[٧٥] «وَ هُدىً وَ مَوْعِظَةٌ لِلْمُتَّقِينَ»،[٧٦] «وَ كَتَبْنا لَهُ فِي الْأَلْواحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَ تَفْصيلاً لِكُلِّ شَيْءٍ»،[٧٧] «فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وعِظْهُمْ»،[٧٨] «ادْعُ إِلى سَبيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَ الْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَ جادِلْهُمْ بِالَّتي هِيَ أَحْسَن».[٧٩]

غير أنه سبحانه قيد الموعظة –في الآية الأخيرة – بالحسنة و الجدال بالتي هي أحسن، ففيه دلالة على أن من الموعظة ما ليست بحسنة ومن الجدال ما هو أحسن وما ليس بأحسن ولا حسن والله تعالى يأمر من الموعظة بالموعظة الحسنة ومن الجدال بأحسنه، و لعل ما في ذيل الآية من التعليل بقوله: «إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبيلِهِ وَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ» يوضح وجه التقييد، فمعناه أنه سبحانه أعلم بحال أهل الضلال في دينه الحق، وهو أعلم بحال المهتدين فيه فهو يعلم أن الذي ينفع في هذا السبيل هو الحكمة و الموعظة الحسنة و الجدال الأحسن لا غير.[٨٠]

فالموعظة الحسنة مخاطبة الوجدان والضمير بالطريقة المؤثرة الجذابة، وأما «الموعظة» في القرآن الكريم هي الارشاد و الموعظة و الخطابة و الدعوة أي الخطاب الذي لا يكون برهانياً بل تطغى فيه الناحية الارشادية، ويحذّر الناس من المفاسد و الانحرافات الأخلاقية و الشرك و الذنوب و الآثام، و يدعوهم إلى مدرسة التوحيد و الهدى، وفي هذا الشأن توجد آيات كثيرة فعلى سبيل المثال؛ في معرض الحديث عن وضع الامم السابقة نجد الذكر الحكيم يبين كيف إنهم – جرّاء انغماسهم في الذنوب – قد دُمروا و زالوا، و كيف ان الأقوام الذين اتبعوا الأنبياء قد أفلحوا و سعدوا.

المطلب الثالث: الجدل والمواجهة بالمثل:

نحن نعلم أنه في مقابل دعوة الأنبياء يوجد أناس غير الأشخاص الذين لم يكن لديهم موقف فكري مسبق، و كانوا مستعدين لقبول الدعوة عن قناعة، و لكن أولئك يحملون موقفاً معارضاً من قبل و معارضون سلفاً لدعوة الأنبياء، أي إنهم مخالفون مسبقاً و غير مستعدين لقبول الحق، ومصرون على العناد و الإعتراض، ويحملون تعصباً وخصومة، ولا يقتنعون بأي نحو من الأنحاء مقابل الحكمة والموعظة الحسنة و لن يسلموا تسليماً،

وبالرغم من إدراكهم لأحقية الأنبياء بيد إنهم معاندون ومعترضون. ولذلك فان الأنبياء يتصرفون في مقابل هؤلاء بأسلوب المجادلة بالأحسن.

المبحث الخامس: نتيجة البحث

أن أهم ما توصلت له هذه الدراسة هو:

أولاً: من الطرائق الرئيسية لدعوة الأنبياء في كل الأزمان هو الجدال بالأحسن. في هذه الجدالات روعيت جوانب مهمة كالعاطفة و احترام الانسان، و التوعية، و الاستدلال المنطقي، و الحزم، و التوكل الايماني و غيرها.

والقرآن الكريم في العديد من سوره و آياته يتطرائق إلى قصص مناظرات الأنبياء (علىهم السّلام) ومن جملتهم الرسول الأكرم (صلى الله عليه وآله) مع أقوامهم، وهذه المناظرات جرت ضمن مراعاة الأدب والإحترام والقول الحق والإستدلال الرصين والحازم بين الأنبياء وأقوامهم وهذا هو الجدال بالأحسن والذي يدعو اليه القرآن والشرع المقدس.

ثانياً: إن المناظرة و الجدال بالتي هي أحسن تتمتع بأهمية حيوية فى الدين الإسلامي، كغيره من الأديان السمأوية، وتعد وسيلة فعالة في تفنيد و إبطال الشبهات التي يطرحها ذوو المذاهب المادية الباطلة وأصحاب الأفكار المنحرفة.

ثالثاً: أن الجدال بغير الاحسن يؤدي إلى الفشل و عدم التوفيق في البحث و المناظرة، فالمناظرة التي تنعقد بهدف التفاخر و التباهي والتغلب على الآخرين هي مصدر تصرفات لا يرضاها الله سبحانه و تعإلى وتسرّ الشيطان وترضيه.

ففي البرهان و الجدال بالأحسن أي المناظرة لا يسود سوى الاستدلال و الاحتجاج و القول اليقين الذي يقود إلى السبيل العقلي. و في المجادلة يتجه الخطاب نحو المنكرين و الكافرين الذين يفتعلون الموانع و يتذرعون بالحجج الواهية من أجل الامتناع و الاستنكاف عن الرضوخ للحق و الهدى.

هذه الموانع تتبلور أحياناً و تتألف من اعتقادات – حقة أم باطلة – و أحياناً عبارة عن تعارضات أو شبهات أو تساؤلات – من وجهة نظرهم – بشأن النظرية المقابلة.

رابعاً: ومن هنا ينبغي اتّباع المرونة و المداراة، و في الوقت نفسه الحزم و الصراحة و القوة الفكرية في حل وتجأوز و دحض تلك الموانع و الشبهات و إزاحتها عن طريق الايمان بشريعة الله. و هذا الأمر يحتاج عادة إلى مقدمات صحيحة و بديهيات ثابتة لتمهيد الطريق امام الطرف المخالف لكي يؤمن بالعقائد الحقة و الصحيحة، والخضوع للبراهين الرصينة والتوصل إلى النتائج المرجوّة و الدقيقة الواحدة تلو الأخرى، حتى يكون بلوغ الهدف متيسراً ويستقر الايمان في ذهن المخاطب.

خامساً: و كما أوضحنا و بيّنّا فإن الرسول الأكرم نبي الإسلام محمّد(صلى الله عليه وآله وسلم) كان يستعمل الأسلوب نفسه لدعوة قومه إلى الإسلام. و نلمس في أسلوب النبي الأكرم(صلي‌الله عليه وآله وسلّم) ومنهجه خصائص ومزايا ايجابية كثيرة وامتيازات متعددة ملفتة للنظر.

من جملتها أنه كان مأموراً و مكلفاً من قبل الله ــ جلت عظمته ــ بأن يتبع في دعوته و مجادلته مع الكفار أفضل أسلوب و أحسن سبيل. و المجادلة و المناظرة التي كانت تتم بالتي هي أحسن فهي ــ حتماً ــ تتصف بكل الامتيازات والخصائص الايجابية، و لهذا السبب تتمكن من ترك بصمة مشرقة وتأثيرات ايجابية و كبيرة على المخاطبين.

سادساً: إن معرفة سيرة النّبى (صلى الله عليه وآله) و كيفية تصرفه مع مختلف الفئات و الشرائح التي تحمل أنماطاً من الأفكار والعقائد، يُعدُّ ذات أهمية فائقة، للتمكن من تطبيق أساليبه (صلى الله عليه وآله) والإقتداء بسيرته في العصر الحاضر.

الهوامش

---

[1] . نهج البلاغة، (١٤١٤ ق)، قم، منشورات هجرت، الطبعة الأولي، خ ١٥٨.

[2] . لسان العرب، جمال الدين ابن منظور (١٤٠٨ ه)، تعليق و تهيئة فهارس: علي سيري، بيروت: الطبعة الأولى، دار احياء التراث العربي، ج ١٤، ص ١٩١.

[٣] . أنواع النصوص الأدبية و آثاره في اللغة الفارسية، حسين رزمجو، (١٣٧٠ ش)، الطبعة الأولى، مشهد، مؤسسة الطباعة و النشر التابعة للعتبة الرضوية المقدسة، ص ١٣٣.

[٤] . المفردات في غريب الفاظ القرآن، ابوالقاسم الحسين بن محمد راغب اصفهاني (١٣٦٢)، الطبعة الثانية، انتشارات كتابفروشي مرتضوي، ص ٤٩٨.

[٥] . لغت نامه (قاموس)، علي اكبر دهخدا، (١٣٧٧ هـ ش)، الطبعة الثانية من دورة الجديدة، مؤسسه انتشارات و جاب جامعة طهران، مادة المناظرة.

[٦] . المنطق، محمد رضا المظفر (١٤٠٠ هـ)، بيروت، دار التعارف، ج ٢، ص ٣٢٩.

[٧] . آداب المناظرة، علي پاشا صالح، (١٣١٧ ش)، طهران: مطبعة فردوسي، ص ٧.

[٨] . التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي(بى تا)، مؤسسة الطباعة و النشر بوزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي في ايران، ص ٦٣.

[٩] . المفردات في غريب الفاظ القرآن، ابوالقاسم الحسين بن محمد راغب اصفهاني، ص ٨٩.

[١٠] . البقرة: الآية ١٩٧.

[١١] . المنطق، محمد رضا المظفر، ج ٢، ص ٣٣١.

[١٢] . لغت نامه (قاموس)، علي اكبر دهخدا، ج ٥، ص ٧٥٥٦ – ٧٥٩٢.

[١٣] . النحل: الآية ١٢٥.

[١٤] . مجمع البيان في تفسير القرآن، فضل بن حسن الطبرسي (١٤٠٦ هـ ق) بيروت: الطبعة الاولى، دار المعرفة للطباعة و النشر، ج٦، ص ٦٠٥.

[١٥] . الميزان فى تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبايي (١٤١٧هـ)، الطبعة الخامسة، دار الكتب الاسلامية، ج١٢، ص ٣٧٢.

[١٦] . العنكبوت: الآية ٤٦.

[١٧] . النحل: الآية ١٢٥.

[١٨] . البقرة: الآية ١١١.

[١٩] . يس: الآية ٧٨.

[٢٠] . يس: الآية ٧٩.

[٢١] . بحار الأنوار الجامعة لِدرر أخبار الأئمة الاطهار، العلامة محمد باقر المجلسي(١٩٨٣ م)، بيروت: مؤسسة الوفاء، ج ٩،ص ٢٥٥.

[٢٢] . النمل: الآية ٦٠.

[٢٣] . الأنعام: الآية ١٠٨.

[٢٤] . البقرة: الآية ٢١٩.

[٢٥] . فصلت: الآية ٣٤.

[٢٦] . النحل: الآية ٣٦.

[٢٧] . الميزان فى تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبايي، ج١٢، ص ٢٤٣.

[٢٨] . النساء: الآية ٣٦.

[٢٩] . الميزان فى تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبايي، ج ٤، ص ٣٥٤.

[30] . الفرقان: الآية ٧٢.

[31] . الفرقان: الآية ٦٣.

[32] . القلم: الآية ٤.

[33] . آل عمران: الآية ١٥٩.

[34] . الشعراء: الآيات ٢١٥-٢١٤.

[35] . سيره نبوي، مصطفى دلشاد تهراني (١٣٧٢، هــ ش /١٩٩٣م)، طهران: وزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي في ايران، ج ٢، ص ١٦.

[36] . السيرة النبوية، ابو محمد عبدالملك بن هشام المعافري، (١٤١٥ هــ)، بيروت: دار الفكر، ج ١، ص ٥١٣.

[37] . الاحتجاج على أهل اللجاج، احمد بن أبي طالب الطبرسي (١٣٨٦ هــ.ق)، النجف الأشرف، مكتبة دار النعمان، ج ١، ص ٣٨.

[38] . سفينة البحار و مدينة الحكم و الاثار، الشيخ عباس القمي (بى تا) بيروت، دار المرتضى، ج ١، ص ٤١٦.

[39] . آل عمران: الآية ٦٤

[40] . عنكبوت: الآية ٤٥

[41] . الاحتجاج على أهل اللجاج، احمد بن أبي طالب الطبرسي، ج١، ص ٢٢.

[42] . الحدىد: الآية ١٧

[43] . فخر الدين طريحي، مجمع البحرين (١٤٠٣ هــ ق)، التحقيق: احمد الحسيني، بيروت، الطبعة الثانية، مؤسسة الوفاء، ج ٦، ص ٢١٣.

[44] . البقرة: الآية ١١١.

[45] . الإسراء: الآيات ٨٩-٥٤.

[46] . الإسراء: الآيات ٩٣-٩٠.

[47] . ىس: الآيات ٧٩-٧٧.

[48] . فصلت: الآيات ٥-١.

[49] . السيرة النبوية، ابو محمد عبدالملك بن هشام المعافري ، ج ١، ص ٢٥٤.

[50] . الكهف: الآيات ٩٨-٨٣-٢٦- ٩؛ الاسراء: الآية ٨٥.

[51] . خاتم النبيين، ابو زهره، محمد، (١٣٥١ هــ ش، ١٩٧٢ م)، مشهد المقدس، مؤسسة البحوث الاسلامية للروضة الرضوية، ج ٢، ص ٤٤٧-٤٤٠.

[52] . سبأ: الآية ٢٤.

[53] . أسلوب الدعوة فى القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله(١٣٩٩ ه)، بىروت، دار الزهراء، ص ٦٤.

[54] . البقرة: الآية ١٤٠.

[55] . الاحتجاج على أهل اللجاج، احمد بن أبي طالب الطبرسي، ج ١، ص ٢٩.

[56] . هود: الآية ٢.

[57] . مجمع البيان في تفسير القرآن، فضل بن حسن الطبرسي، ج ٥، ص ٢١٤.

[58] . سبأ: الآية ٢٨.

[59] . الاحتجاج على أهل اللجاج، احمد بن أبي طالب الطبرسي، ج ١، ص ٢٣.

[٦٠] . هود: الآية ١٢.

[٦١] . وهبة بن مصطفى الزحيلى، التفسير المنير فى العقيدة و الشريعة و المنهج (١٤١٨)، بيروت، الطبعة الثانية، دار الفكر المعاصر، ج ١٢، ص ٣٤.

[٦٢] . الزخرف: ٥٨-٥٧.

[٦٣] . الميزان فى تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبايي، ج ١٨، ص ١١٤-١١٣.

[٦٤] . آل عمران: الآية ٥٩.

[٦٥] . الميزان فى تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبايي، ج ٣، ص ٢٣٢-٢٣١.

[٦٦] . النحل:الآية ١٢٥.

[٦٧] . الزخرف: الآية ٢٣.

[٦٨] . الزخرف: الآية ٢٤.

[٦٩] . المفردات في غريب الفاظ القرآن، ابوالقاسم الحسين بن محمد راغب اصفهاني، ص ٨٧٦.

[٧٠] . العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، (١٤٢١هـ)، دارإحياء التراث العربي، بيروت، الطبعة الأولي، ج ٢، ص ٢٢٨.

[٧١] . النحل: الآية ٩٠.

[٧٢] . سباء: الآية ٤٦.

[٧٣] . المجادلة: الآية ٣.

[٧٤] . يونس: الآية ٥٧.

[٧٥] . هود: الآية ١٢٠.

[٧٦] . آل عمران: الآية ١٣٨.

[٧٧] . الأعراف: الآية ١٤٥.

[٧٨] . النساء: الآية٦٣.

[٧٩] . النحل: الآية ١٢٥.

[٨٠] . الميزان فى تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبايي، ج١٢، ص ٣٧٢.

المصادر:

١. **القرآن الكريم**

٢. الاحتجاج على أهل اللجاج، احمد بن أبي طالب الطبرسي، النجف الأشرف، مكتبة دار النعمان، ١٣٨٦ هـ.

٣. أسلوب الدعوة فى القرآن الكريم، محمد حسين فضل الله، بيروت، دار الزهراء، ١٣٩٩ هـ.

٤. أنواع النصوص الأدبية و آثاره في اللغة الفارسية، حسين رزمجو، مشهد، مؤسسة الطباعة و النشر التابعة للعتبة الرضوية المقدسة، الطبعة الأولى، ١٣٧٠ ش.

٥. آداب المناظرة، علي پاشا صالح، طهران، مطبعة فردوسي، ١٣١٧ش.

٦. بحار الأنوار الجامعة لِدرر أخبار الأئمة الاطهار، العلامة محمد باقر المجلسي، بيروت،مؤسسة الوفاء، ١٩٨٣م.
٧. التحقيق في كلمات القرآن الكريم، الشيخ حسن المصطفوي، مؤسسة الطباعة و النشر بوزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي في ايران، بي تا.
٨. التفسير المنير فى العقيدة و الشريعة و المنهج، وهبة بن مصطفى الزحيلى، بيروت، دار الفكر المعاصر، الطبعة الثانية، ١٤١٨ هـ.
٩. خاتم النبيين، ابو زهره، محمد، مشهد المقدس، مؤسسة البحوث الاسلامية للروضة الرضوية، ١٣٥١ش.
١٠. سفينة البحار و مدينة الحكم و الاثار، الشيخ عباس القمي، بيروت، دار المرتضى، بي تا.
١١. السيرة النبوية، ابو محمد عبدالملك بن هشام المعافري، بيروت، دار الفكر، ١٤١٥هـ.
١٢. سيره نبوي، مصطفى دلشاد تهراني، طهران، وزارة الثقافة و الارشاد الاسلامي في ايران، ١٣٧٢ ش.
١٣. العين، الخليل بن أحمد الفراهيدي، بيروت، دارإحياء التراث العربي، الطبعة الأولي، ١٤٢١ه.
١٤. لسان العرب، جمال الدين ابن منظور تعليق و تهيئة فهارس: علي سيري، بيروت، دار احياء التراث العربي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨ ه.
١٥. لغت نامه (قاموس)، علي اكبر دهخدا، طهران، مؤسسه انتشارات و جاب جامعة طهران، مادة المناظرة، الطبعة الثانية من دورة الجديدة، ١٣٧٧ ش.
١٦. مجمع البحرين، فخر الدين طريحي، التحقيق: احمد الحسيني، بيروت، مؤسسة الوفاء، الطبعة الثانية، ١٤٠٣ هـ.
١٧. مجمع البيان في تفسير القرآن، فضل بن حسن الطبرسي، بيروت، دار المعرفة للطباعة و النشر، الطبعة الاولى، ١٤٠٦ هـ.
١٨. المفردات في غريب الفاظ القرآن، ابوالقاسم الحسين بن محمد راغب اصفهاني، طهران، انتشارات كتابفروشي مرتضوي، الطبعة الثانية، ١٣٦٢ش.
١٩. المنطق، محمد رضا المظفر، بيروت، دار التعارف، ١٤٠٠، هـ.
٢٠. الميزان فى تفسير القرآن، السيد محمد حسين الطباطبايي، طهران، دار الكتب الاسلامية، الطبعة الخامسة، ١٤١٧ هـ.
٢١. نهج البلاغة، المصحح: صبحي صالح، بيروت، مركز البحوث الاسلامية، ١٣٨٧ هـ.